الثقافة العربية والكتابة حول جسد المرأة

ليلى أحمد

تبدو المواقف السلبية تجاه جسد المرأة في الثقافة العربية شديدة الوضوح بالنسبة لقراء كتاب نوال السعداوي (The Hidden Face of Eve) (الوجه المخفي لحواء). ففي الكتاب تقدم المؤلفة وصفا لما يصيب جسد الأنثى من أذى وضرر وجراح في مجتمعها، بدءا باستئصال البظر، وانتهاء بترميم (أو إعادة (بناء)) غشاء العذرية. ويبدو بكل جلاء أن الالتجاء لهذه الممارسات التي يفرضها العرف السائد (وترتبط بالطبقة الاجتماعية) يستهدف إعادة بناء جسد المرأة بشكل حرفي كي تنسجم مع ما تعتبره الثقافة جنسانية مقبولة في المرأة.

وفي فضحها لهذه الممارسات، تسبر السعداوي بالتفصيل منطقة محددة ضمن مساحة شديدة الاتساع والتنوع - تلك التي تتصل بمفاهيم الثقافة العربية حول جسد المرأة - بالرغم من أن هدفها كما هو واضح ليس تقديم صورة مفصلة بل إدانة التخريب الذي وصفته والمطالبة بوضع حد له. أما المنظور الذي تدين من خلاله مواقف ثقافتها تجاه جسد المرأة فهو منظور النسوية - فنوال السعداوي الطبيبة، هي أيضا ناشطة نسوية كما تعتبر نفسها. وهذا المنظور مؤسس على الفكر الطبي والنسوي (الحديث) أو (الغربي)، وكلاهما يشتركان في (ويقدمان للمرأة) فرضيات التراث الغربي الأوسع للفكر السياسي فيما يتعلق بالكرامة الجسدية والاستقلال الشخصي والسياسي للفرد. بناء على ذلك، يرتكز الوعي المكوّن والملهم للنص الذي كتبته على الفكر الغربي، ولا يمكن في الحقيقة فهمه وفك رموزه بدون هذا الجزء من الفكر، بالرغم من أن موضوع كتاب السعداوي هو بعض العادات العربية - المصرية المعينة والجسد الأنثوي. لكن حالة نوال السعداوي لا تنطبق على غيرها من الكاتبات العربيات، اللاتي كن أقل دراية بالقارئ الغربي مقارنة بها، واللاتي تعاملن، كما فعلت هي، بشكل مباشر نوعا ما مع المواضيع الجسدية - كأليفة رفعت، على سبيل المثال. فأعمال أليفة، التي تناولت موضوع جسد المرأة، وخصوصا جنسانيتها، بشكل مباشر يلفت النظر، لا تبدو فقط أنها توثق، بل تصدر عن مزاج مختلف في الفكر العربي حول الجسد والجنسانية من ذلك الذي حاولت السعداوي رسمه في كتابها. فعلى سبيل المثال، تبدأ قصتها التي أعطت عنوانها إلى مجموعة القصص القصيرة (منظر بعيد لمنارة)، بمشهد لعلاقة جنسية بين رجل وامرأة، حيث تصف المرأة / الراوية بكل تجرد الجهد الذي بذله شريكها، ثم تنتبه إلى أن إصبع قدمها تشير إلى شبكة عنكبوت معلقة في السقف، وتقول لنفسها بأن عليها أن تزيلها. ومن ثم تكشف تأملاتها عن أنها فقدت الاهتمام بالجنس في وقت مبكر من حياتها الزوجية حين رد زوجها على رغبتها الصريحة باتهامها بأنها تحاول أن تسبب له أزمة قلبية. وحين تعود إلى الحاضر، تجد أن زوجها قد غط في نومه أخيرا لتنهض هي (الراوية) وتغتسل، وتصلي، وتجلس على شرفتها متأملة المنظر أمامها، منظر اجتذبها بسبب المئذنة التي كانت تشرف عليه. لكن الآن تقزمت المئذنة جراء الأبنية المحيطة. وتختتم القصة باكتشافها أن زوجها قد مات فعلا نتيجة أزمة قلبية، وهي تجلس هادئة جدا كما تلاحظ، لتستمتع بفنجان من القهوة لحين وصول الطبيب. وفي حين أن راوية الأحداث عالقة في شرك عالم تحكمه مركزانية القضيب، في السرير أو رمزيا في الأفق، لكن القصة تخلف في القارئ شعورا واضحا يشير إلى أنها هي المنتصرة، وهي التي تمكنت من البقاء - بأكثر من مجرد المعنى الحرفي. لكن هل هذا ما قصدت الكاتبة إيصاله في الحقيقة؟ هنا يصبح الفرق المحتمل بين الوعي الملهم لكتاب نوال السعداوي وذاك الذي يكون وعي أليفة رفعت وثيق الصلة بموضوعنا. ففي حين يدين كتاب السعداوي مواقف ثقافتها تجاه جسد المرأة (وحين يفعل ذلك، يسبر هذه المنطقة من الثقافة) إلا أن منظور الكاتبة تجاه القضايا التي وصفتها ليس منظورا عربيا على نحو خاص، على الأقل في افتراضاته الواعية، لكنه (كما أشرنا آنفا) منظور متجذر في/ ويعكس افتراضات الفكر (الحديث) أو (الغربي)، ولاسيما الحركة النسوية الغربية. أما في حالة أليفة رفعت، فيبقى دور الفكر الغربي في تشكيل المنظور التي ترى من خلاله عالمها غامضا وملتبسا على أقل تقدير. فأليفة رفعت المصرية، تعيش حياة تقليدية لاغربية، ولم تطلع إلا على القليل من نتاج الأدب الغربي، وهي تقر على ما يبدو بالمعتقدات التقليدية لمجتمعها، وهي امرأة متدينة وترتدي الحجاب. هنالك قصة أخرى لأليفة رفعت تثير مزيدا من الحيرة على ضوء هذه الحقائق حولها. فقد نشرت القصة أصلا عام ١٩٧٤ بعنوان (عالمي المجهول)، وهي تدور حول زوجة أحد المسؤولين في بلدة مصرية صغيرة وقعت في حب جني (ـة). إذ ظهر لها الجني أول مرة على شكل أفعى جميلة واقترح أن يستكشفا معا (أعماق بحر المتعة اللازوردي). وحين (ظهرت) في المرة الثانية (أخذ الجني الآن شكل جنية) أعلمتها بأنها ملاك المنزل الحارس وأنها ستعقد حلفا بين المرأة والأفاعي في الجوار لضمان عدم إيذاء أحد للآخر. ثم مررت يدها على جسد المرأة/الراوية لتتركها وهي تتأجج بالرغبة. وحين أرعبتها، طلبت من زوجها أن يغلق (الفتحة) التي ظهرت منها الجنية. لكن بعد أن فعل ظهرت الجنية مرة أخرى، وهي تقول: (لم أنت خجولة ولماذا تهربين مني، يا عروستي؟)، ويتابع المقطع السرد حين ترد هامسة بالقول إنها تتألم، فحب الجنية شديد والشهوة تملأ كيانها. وهي خائفة من الشعور بأنها تسقط في هوة لا قرار لها وتتعرض للدمار. وتجيب الجنية بأنها لن تظهر لها إلا بأكثر الأشكال جمالا وكمالا ونقاء. وحين ردت المرأة بعنف قائلة بأن من الطبيعي أن تظهر الجنية بهيئة رجل نظرا لأنها مصممة على أن تجمعهما قصة غرامية، أجابت الجنية بأن الجمال الكامل لا يمكن العثور عليه إلا في المرأة، ولهذا عليها أن تستسلم لها لتجعلها تتذوق طعم سعادة لم يحلم بها أحد. ثم مدت أصابعها لتداعب المرأة في حين امتصت شفتاها الرقيقتان سموم شهوتها وزفرت رحيق نشوتها، حاملة معها كيانها إلى غشية من السعادة اللذيذة والانتشاء المبهج. بعد ذلك، كما تقول الراوية، بدأت هي والجنية أكثر قصص الحب متعة وبهجة. لو كانت هذه القصة من تأليف كاتبة أمريكية أو عربية مطلعة عموما على الأدب المكتوب بالإنكليزية، لاعتبرها القارئ بكل ثقة بمثابة تصريح إيجابي متعاطف مع الحب بين النساء، أو على الأقل تتلاعب بفكرة استحالة إشباع خيالات الشهوة الجنسية عند النساء بواسطة الرجال. لكن هل يجب قراءة القصة فعلا على هذا النحو بعد أن نأخذ بالاعتبار شخصية المؤلفة وخلفيتها الثقافية؟ من المفروض أن تكون قصة أليفة رفعت مؤسسة على أفكار ثقافتها المتعلقة بالجنسانية، وهي داخلة في حوار مع تلك الأفكار حتى وهي تحط من قدرها. ولذلك يحتاج المرء على الأقل إلى معرفة أولية - طبوغرافية وأركيولوجية - بالمفاهيم العربية المتعلقة بالجنسانية وبجسد المرأة والرجل، لكي يستكشف عملها ويقرأ بشكل صحيح مضامينه وأصداءه. على أية حال فقد توضح هذه المعرفة ما إذا كانت أليفة رفعت تعتمد على التراث التجريبي، أو الشفاهي، أو الأدبي، أو على توليفة تجمع هذه العناصر معا، وهي طرائق موجودة ضمن الثقافة العربية فيما يتعلق بالكتابة أو التفكير حول الجسد الأنثوي، وذلك فيما وراء تلك التي حددتها نوال السعداوي في كتابها المذكور (The Hidden Face of Eve). وحتى مجرد نظرة أولية للموضوع توحي بأن السلبية التي حددتها السعداوي تجاه جسد المرأة، والشهوة الجنسية الممركزة على الأنثى التي عبرت عنها رفعت، لهما سوابق في الفكر والكتابة في العصور الوسطى. فتعبير (عورة) على سبيل المثال، وخصوصا استخدامه المتعلق بجسد المرأة (وهو استخدام يعود بجذوره إلى القرون الوسطى على أقل تقدير) يعزى ضمنا إلى الجسد الأنثوي ولا سيما خصائص السلبية والخجل والعار التي اصطبغت بها الجنسانية، في أحد ملامحها، داخل الثقافة العربية. واللفظة مشتقة من (العور) ويعني (العيب) (العوراء: الكلمة القبيحة)، كما تعني أيضا (الضعف). وقد استخدمت على وجه الخصوص لتدل على تلك الأجزاء من الجسم التي يطالب الدين بوجوب سترها - الأعضاء الجنسية - والتي حددتها بعض المرجعيات بالمنطقة الممتدة بين السرة والركبتين بالنسبة للرجل، وبالجسد كله بالنسبة للمرأة. إن فكرة الجسد الأنثوي المكبل تنسجم بالتأكيد مع أنماط المواقف والممارسات العقابية التي وصفتها السعداوي. لكن في نفس الوقت، يعبر الأدب القروسطي، ولا سيما (ألف ليلة وليلة)، بكل وضوح وحماسة وحيوية وبدون رقابة، عن تراث من الشهوة الجنسية والجنسانية الأنثوية بكل ما يميزهما من فاعلية ونشاط. فقد جمعت القصص في القرون الوسطى، بواسطة مؤلف مجهول ولربما كانت متداولة شفاهيا لمدة طويلة من الزمن قبل ذلك. ومن المعروف أن هذه الحكايا في رواياتها وإعادة رواياتها تعبر على أقل تقدير عن أوهام وخيالات ونزوات اخترعتها النساء إضافة إلى الرجال. أما كيف تعبر مجموعة القصص هذه عن الجسد والجنسانية فمازال موضوعا بحاجة للاستكشاف والتقصي.

في الحقيقة، مازال التراث العربي القديم المكتوب، والذي تناول موضوع الجسد أو كان على صلة به (وهو واسع ومتنوع)، غير مكتشف بالنسبة للقسم الأعظم منه، وذلك فيما يتعلق بكيفية مفهمته للجسد. ولدى المواد المكتوبة من الحقب التاريخية المبكرة الكثير مما يمكن أن تقدمه لمثل هذا الاستكشاف، بما في ذلك مجموعة معتبرة من الشعر الجنسي، تناول العلاقات الجنسية المتغايرة أو المثلية، والذي ألف معظمه الرجال ونظم بعضه النساء، وكم وافر من الأدب الإباحي، إضافة إلى مجموعة كبيرة من الأعمال الطبية التي تعود إلى العصور الوسطى وما قبلها. وهنالك أيضا أعمال فقهية/شرعية تعود إلى نفس الفترة التاريخية ركزت اهتمامها المباشر على شؤون الجسد. انصب اهتمام هذه الأعمال، من بين كثير من الأشياء، على تحليل وتفسير النصوص الدينية المقدسة، في القرآن والسنة، وأحكامها الصريحة أو الضمنية فيما يتعلق بالجسم، مثل الحمل، وطورت هذه الأحكام لتصبح أساسا للممارسة الشرعية. ولم تقتصر الكتب الفقهية على حقوق الرجال والنساء فقط، بل تناولت حقوق الخصيان. فقد سمح الإسلام باستخدام الخصيان، وإن حرم الخصاء. ولذلك تم استيراد معظم الخصيان إلى العالم الإسلامي من مناطق تقع فيما وراء حدوده. أما أهم مراكز (التوريد) مثلا فكان (مصنع الخصيان) في فردان في فرنسا. من الناحية الجسدية، لا يعتبر الخصيان نساء ولا رجالا، وقد استخدموا من قبل الطبقات العليا (كوسطاء)، أي كأشخاص يحرسون مداخل مخادع النساء (الحريم) ويتحكمون بالاتصال بين عالم الرجال الخارجي وعالم النساء الداخلي. كما استخدموا كحراس للقبور والأضرحة، وبالتالي وضعوا على عتبة عالمي الغيب والشهادة أيضا. تصور الإسلام المفهومي للخصيان موضوع بحاجة هو الآخر للبحث والاستكشاف، ويمكن أن يثبت فائدته المعرفية ويوضح كيفية مفهمة الإسلام للجندر (النوع الاجتماعي). في محاولة تمهيدية لرسم بعض الخطوط العريضة لمفهوم العرب عن جسد المرأة، سوف تركز الصفحات التالية أولا على تلخيص المناقشات والتشريعات الإسلامية القروسطية حول موضوعي الحمل والإجهاض، ومن ثم على دراسة مضامين هذه المناقشات، وعلى نصوص القرآن والسنة التي اعتمدت عليها، وذلك فيما يتعلق بما تقترحه حول المفاهيم العربية المتصلة بالجسد وخصوصا جسد المرأة. والحقيقة أن الآراء الإسلامية الشرعية والطبية حول الحمل، ومنع الحمل، والإجهاض في القرون الوسطى، التي تعتبر مواضيع مهمة بالبداهة بالنسبة لاستكشاف وسبر الأفكار الإسلامية حول الجسد الأنثوي، قد جرى استقصاؤها ورسم خطوطها العريضة في عمل باسم. ف. مسلّم المهم (الجنس والمجتمع في الإسلام القروسطي) (Sex and Society in Medieval Islam) والآراء القروسطية الشرعية والطبية المقدمة هنا (باستثناء الاستدلالات والاستنتاجات المستخلصة منها) تعتمد غالبا على توصيف مسلم لها. وتثير الآراء الإسلامية حول هذه المواضيع اهتماما إضافيا لأن العالمين الإسلامي والغربي قد ورثا معا نفس النظريات الإغريقية حول الحمل ليتعامل معها كل من الحضارتين بطرائق مختلفة لها دلالتها المهمة. والتغاير بينهما في التعامل المختلف مع المواضيع نفسها يساعدنا على تفسير الكثير من الأمور. فهو يؤكد، من جهة، الحقيقة المتوقعة التي تشير إلى أن الحقائق (العلمية) تعكس في كثير من الأحوال المعتقدات الأيديولوجية والأهداف الاجتماعية للنظام البطركي، ويكشف، من جهة أخرى وبشكل مفاجئ، قدرة هذا النظام على استخدام حتى الأفكار المساواتية البيولوجية لخدمة أغراضه ومراميه الخاصة. ومثلما تبين دراسة مسلم، فقد سمحت معظم المذاهب الفقهية الإسلامية في العصور الوسيطة بمنع الحمل، رغم أن قلة قليلة منها لم توافق عليه. كما أباحت غالبيتها العظمى الإجهاض، بالرغم من وجود إجماع أقل على هذه المسألة. وفيما يتعلق بمنع الحمل، فإن القضية الخلافية من الناحية الشرعية التي أفرزت معظم الجدل بين الفقهاء، لم تكن تدور حول ما إذا كان مباحا، بل حول ما إذا كان بمقدور الزوج ممارسته بدون موافقة الزوجة. أما حق المرأة في الامتناع عن الحمل فلم يكن مسألة خلافية بين الفقهاء ولم تتم مقاربته إلا بشكل عابر في الكتابات - وهي نقطة تؤكد أنه كان يمارس ويعتبر من الأمور التي لا خلاف عليها من الناحية الشرعية. وجادل بعض الفقهاء فيما إذا كان من الواجب على الزوجة أخذ موافقة الزوج للامتناع عن الحمل، وأفتى معظمهم بعدم وجوب ذلك. توصل الفقهاء إلى هذه الآراء استنادا إلى ما فهموه من النصوص الدينية حول طبيعة الحمل البشري، والحقوق الجنسية للزوجين. أما النص الديني الذي رجعوا إليه فهو القرآن في المقام الأول بالطبع، ثم السنة (مجموعة الأحاديث والأقوال والأفعال النبوية التي دونت خلال القرنين الأول والثاني من الهجرة (عصر التدوين)، أو القرنين الميلاديين السابع والثامن). وبالرغم من أن السنة لا تتمتع لدى بعض الفقهاء بنفس قداسة القرآن، إلا أنها تعتبر بمثابة المرجعية الثانية ويعتمد على نصوصها كشارحة ومفسرة للقرآن وكمصدر للتشريع والممارسة الشرعية. لقد اعتمدت الآراء الفقهية التي تقول بجواز منع الحمل والإجهاض على نصوص القرآن والحديث. والآية التي استشهد بها الفقهاء هي الآية ١٣ من سورة (الحجرات) التي يخاطب فيها الحق البشر جميعا: (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا..). وقد أشاروا إلى الآية في معرض مناقشاتهم لطبيعة إسهام الذكر والأنثى في عملية الحمل، واستخدموها لنقض الآراء الأرسطية والتوراتية المتعلقة بتفوق نطفة الذكر من حيث الأهمية - وهي آراء وجدت أنصارا، حسبما أشار مسلم وكما سنبين لاحقا، بين الفلاسفة المسلمين (بوصفهم متميزين عن الفقهاء). كما استشهد الفقهاء بعدد آخر من الآيات القرآنية لتقديم الحجة على أنه لا نطفة الذكر ولا بويضة الأنثى تتمتع بالأهمية بحد ذاتها. يقول تعالى في محكم تنزيله: (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين، ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم أنشأناه خلقا آخر..) (المؤمنون: ١٢-١٤). فسرت الآية بطريقة لا تقصر دلالتها فقط على عدم أهمية إسهام الذكر أو الأنثى إلى حين تشكل الجنين، بل لتعني أيضا أن الجنين لا تدب فيه الروح قبل نقطة معينة من تطوره ونموه. أي (.. فكسونا العظام لحما) وبعد ذلك (.. أنشأناه خلقا آخر). وبالتالي فإن الإجهاض مباح حتى تلك اللحظة. وهذه اللحظة تحدث تبعا لحساب بعض المذاهب الفقهية في نهاية الشهر الرابع من الحمل، وحدد بعض المذاهب الأخرى ميعادها في وقت أبكر. السنة كانت أكثر صراحة ووضوحا فيما يتعلق بإسهام الأنثى في الحمل وإباحة العزل. ووضحت أولا أن للنساء كما للرجال (ماء). ولهذا ورد في أحد الأحاديث أن عددا من النساء سألن النبي (ص) عما إذا كان من الواجب عليهن الغسل بعد (الاحتلامات الليلية) كما هو واجب على الرجال. وأجاب بأن عليهن الغسل، كما على الرجال، إذا كان هناك أي أثر للسائل. وورد في حديث آخر أن رجلا سأل النبي (ص) عما إذا كان للنساء (ماء)، وأجاب النبي: (أجل.. ولهذا يشبه الولد أمه). حديث آخر يذكر أن إسهام الذكر والأنثى في الحمل متساو. وثالث يوضح أن مني الرجل ليس حالة خاصة. فقد سأل أحد المحاربين الرسول عما إذا كان من المباح ممارسة (العزل) (وهو طريقة لمنع الحمل يمارسها الذكر) مع السبايا. أجاب الرسول بأن (ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة). وفي حديث آخر قيل للنبي إن اليهود يعتقدون بخلاف ذلك، فأجاب بأنهم مخطئون، وذكر مرة أخرى أن (ما من نسمة كائنة إلى يوم القيامة إلا هي كائنة). وعلى أساس هذه الأحاديث ذكر الإمام الغزالي، أحد أهم الفقهاء المسلمين وأعظمهم تأثيرا ونفوذا، بشكل صريح أن (ماء) الأنثى (ركن في الانعقاد) وبالتالي لا يمكن اعتبار أن مني الرجل يتمتع بخصوصية عند قذفه من الذكر. فهو بحاجة لأن يزرع في الرحم ويتحد مع سائل الأنثى لكي يعتبر أنه يحمل بذرة الحياة. إن ما ستقوله النصوص الدينية حول الحقوق الجنسية وحقوق الإنجاب لدى الزوجين - أو ما يؤولها الفقهاء حول هذه الأمور- وليس ما تقوله حول الحمل، هو الذي جعل قضية حق الرجال باستخدام ممارسات منع الحمل مع زوجاتهم، وبدرجة أقل بكثير، حق النساء باستخدام موانع الحمل، مسألة خلافية. أما الأسباب التي جعلت بعض الفقهاء يظنون أن على الرجال ألا يستعملوا وسائل منع الحمل (أكثر طرق الرجال شيوعا كانت (العزل)) بدون موافقة الزوجة، فهي: أولا، أنهم اعتقدوا بأن ذلك سيشكل تدخلا في إشباع رغبتها الجنسية الكاملة، وثانيا، أنه سيحرمها من الذرية، وهذان يعتبران من حقوق الزوجة. وقدم بعض الفقهاء الحجة على أن للنساء والرجال الحق بإشباع رغباتهم الجنسية، ولكن ليس بالنسل، وأن "العزل" لا يحرم المرأة بالضرورة من الإشباع الكامل لشهوتها، وبالتالي لا يحتاج الرجال للحصول على موافقة زوجاتهم. وكما قد يوحي كل ذلك، فقد اعتبر معظم الفقهاء أن هدف الزواج - الذي هو في الإسلام علاقة بالتراضي بين فردين، وليس رابطة مقدسة - بالأساس هو إشباع الشهوة الجنسية للزوجين، إشباع لا يتطلب تبريرا من خلال الإشارة إلى الإنجاب والتكاثر. شكل عدد من الأحاديث القاعدة الفقهية لرأي الفقهاء بأن للنساء الحق بإشباع شهوتهن الجنسية بصورة كاملة في الزواج. فقد ورد في واحد منها أن امرأة اشتكت إلى النبي (ص) من أن زوجها يمتنع عن معاشرتها بدافع العبادة، ووبخ النبي الزوج على أساس أن الإسلام لا يطلب، بل لا يوافق على الرهبنة والتنسك، وأن عليه واجبات جنسية تجاه زوجته. وورد في حديث آخر أن امرأة طلقت زوجها وتزوجت بآخر، وجاءت إلى النبي وهي ترغب بالعودة إلى زوجها الأول وطلبت تطليقها من زوجها الثاني بسبب عدم كفاءته الجنسية. وصدم الصحابة بحديثها الصريح ووبخوها، لكن النبي الذي كان مبتسما، تعاطف معها - الأمر الذي اعتبر بمثابة إشارة إلى حق النساء بإشباع رغبتهن الجنسية في الزواج.

أستاذة دراسات المرأة في جامعة ماساتشوستس (امهرست) مؤلفة كتاب Women and Gender in Islam

العدد الجديد من (مغزين ليتيرير) .. ثناء على الكسل

عرض: جودت جالي

صدر العدد الجديد من المجلة الفرنسية مغزين ليتيرير ٤٣٣تموز- آب) وهي مجلة تعرف نفسها بأنها مجلة الكتب والكتاب . تهتم بكل جديد دون أن تفوتها المناسبات الأدبية والفكرية فتخصص لها الملفات وتستكتب المثقفين وتعرض للأصدارات الجديدة (موضوعة أو مترجمة الى الفرنسية) لكنها في ملفها هذا اتتخذلها منحى طريفا غير مألوف فملفها عنوانه (الثناء على الكسل) ملخصه هو أنه مع كون الكسل ليس دائما طيب الذكر ،بالنسبة الى البعض خطيئة وبالنسبة للبعض الآخر جريمة بحق المجتمع العامل يظل فكرة تكتنفها الشكوك ، البعض يختزلها بحالة لامبالاة مكرسة للخمول والأرهاق ، لكن الكسل قد يكون حالة مرح وتأمل مؤقتة وربما كان تجسيدا للرفض فيقلب المنطق الأقتصادي ويشيع الأنحلال في الزمن المنظم الفعال، في الخمول والفراغ أستعادة للذات وربما هو فعل مقاومة أو توجه حكيم . يأتي على ذكر النوادر والأدبيات (الكسلية) من أبيقور الى غاستون لاغاف فتراه أشبه بما نجده من متعة حين نقرأ في تراثنا البخلاء للجاحظ مع الفرق العصري طبعا في التنظيم والتناول .

في العدد مقابلة عنوانها (العودة الضرورية الى الأنجيل) مع المفكر الفرنسي الأصل ريني جيرار الأستاذ في جامعة ستانفورد بالولايات المتحدة . له دراسات أصبحت من الكلاسيكيات الجامعية مثل (الزيف الروماني والحقيقة الروائية) وله في الأدب (العنف والمقدس وأشياء مخفية منذ بدء الخليقة) أما من الجانب الأنثروبولوجي ففي هذه المقابلة تأكيد على أن الأنثروبولوجيا تقترح تحليلا تأريخيا للأديان وبشكل خاص تشير الى وضع هذا التحليل في الممر من الطور القديم الى الطور الحديث ، ينظر المفكر الى دور للمسيحية برأيه هو الكشف عن آليات شعائر التضحية من منظور ما في عصر العولمة والأرهاب العالمي .

في كتابه (أصول الثقافة) يعيد الخطى من طفولته في شارت الى الجامعات الأمريكية . نصف قرن من حياة مفكر يفضل الأنجيل والأعمال الأدبية العظيمة على المفاهيم والأنظمة الفلسفية .

في هذا العدد أيضا الكثير من (مواعيد الكتب والكتاب) من مهرجانات وفعاليات مع ذكر تواريخها حتى الموسم القادم في عام ٢٠٠٥ مثل (أوراق الخريف) و ذكرى جورج صاند (عرضنا العدد الذي يضم ملفا عنها في عدد سابق من الجريدة) وسنة الصين في فرنسا (فعاليات ثقافية مشتركة) وصالونات الكتب والكتاب عن السيرة والتأريخ ومهرجان آفينيون والأحتفالات الليلية(عروض مسرحية ومعارض فنية) ونقرأ(كتاب على ساحل البحر) الذي يدعو ٩٠ شاعرا من بلدان تمتد من ألبانيا وحتى فلسطين حول منطقة البحر الأبيض المتوسط .

أما في (حول العالم) فيوجد عرض لكتاب كريستوفر ريكس المختص بميلتون وكيتس وتينيسون وأليوت لكنه يكتب هذه المرة عن أبداعات وفن الأديب ومغني الروك بوب ديلان كتابا ٥٠٠ صفحة (للعلاقة بالموضوع نشير الى أننا سبق أن ترجمنا قصيدة من تأليف وغناء هذا المغني الأنساني والثوري في فنه مع تعريف به قبل أكثر من عشر سنوات في جريدة القادسية وقد دفع هذا وقتها الأستاذ علي عبد الأمير الى أن يكتب بدوره مقالا في الجريدة نفسها عن القصيدة والترجمة ويضيف ماعنده من معلومات عن الفنان وكتبنا مؤخرا عنه أيضا مقالا في جريدة الصباح) ونقرأ ترجمة لمقال في النيويورك ريفيو عن بينوشيو ، وهذه الشخصية قبل أن تكون الشخصية الكارتونية الشهيرة لوالت ديزني فهي رواية ايطالية عظيمة ثالثة بعد الكوميديا ألألهية و(الخاطبين) لمانزوني وكذلك نجد عرضا لتجدد رواج أعمال تولستوي في الولايات المتحدة وبالأخص رواية آنا كارنينا حيث طبعت من هذه الأعمال مؤخرا مليون نسخة.

أهم جائزة إبداعية إيطالية
إلى رواية (عرب يرقصون) للفلسطيني سيد قشوع

إعداد/ المدى الثقافي

في إطار جائزة (كافور غرينتزاني) الأدبية التي تعنى باختيار أفضل الأعمال الأدبية على المستوى الإيطالي والعالمي، فاز الفلسطيني الحامل للجنسية الإسرائيلية سيد قشوع بجائزة أفضل (عمل أوّل) عن روايته (عرب يرقصون) الرواية التي كُتبت باللغة العبرية وترجمت إلى الإيطالية وإلى عدّة لغات أخرى من بينها الفرنسية، والألمانية، إلاّ أنّها لم تترجم حتى الآن إلى اللغة العربية.

وضع الناشر الإيطالي على غلاف الرواية مقطعاً من الكتاب يقول فيه البطل (أبدو إسرائيلياً أكثر من أي إسرائيلي من رأسه وحتى أخمص قدميه. ويسعدني دائماً عندما يشير إليّ اليهود بذلك، فيقولون (لا تبدو عربياً على الإطلاق). والبعض يعتبر ذلك عنصرية، إلاّ أنّني لا أرى في ذلك إلا ثناء، ونجاحاً، على كلّ حال، هذا ما كنت أريد أن أصبحه: يهودياً، وقد عملت جاهداً لذلك، وأخيراً نجحت).

وُلد سيّد قشوع في العام ١٩٧٥ في قرية الطيرة الفلسطينية التي ضُمّت في العام ١٩٤٨ إلى دولة إسرائيل وهي تقع في ما يُعرف بقرى المثلث.

وتصف روايته بسخرية لاذعة جهود طفل يسعى لأن يصبح يهودياً، كما وترصد الرواية حياة ثلاثة أجيال متعاقبة، (الجيل المرتبط بالأرض التي فقدها في العام ١٩٤٨، وحلم الجدّة هو أن تعود إلى أرضها: الجدة التي ما تزال مؤمنة بأنّ الأرض التي صودرت منها ستعود إليها، والأب الذي كان متحمساً للنضال في شبابه وما لبث أن رأى أحلامه تتفتت وتتآكل، من أحلام القومية وأحلام اليسار، والإبن الذي راح يسعى لأن يكون يهودياً إنّما بطبيعة الحال عبثاً).

وقد أثارت الرواية جدلاً حول خيار هذا الفلسطيني الذي ينتمي إلى ما يُعرف بعرب الـ٤٨ الكتابة بالعبرية، والذي وصفه لوكالة (آكي) الإيطالية للأنباء بأنه (كان خياراً تقنياً بالمطلق) وأضاف (أكملت دراستي في مدرسة إسرائيلية إلاّ أنني لا أعتقد بأن لغتي العربية أدنى مستوى من لغتي العبرية، ولكن لو أردت، أنا كعربي من الداخل، أن أكتب كتاباً باللغة العربية فإن علي الانتظار حتى تطبعه وزارة المعارف الإسرائيلية. المطابع العربية غير موجودة وهناك مكتبة واحدة في الناصرة، كما وليست هناك مكتبات عامة، أو مطابع أو دور نشر حتى العرب الذين يتعلمون الأدب العربي في الجامعة، يدرسون باللغة العبرية، ويقدّمون امتحانات بالعبرية عن الأدب العربي. أما إذا أردت الوصول إلى الجمهور العبري في إسرائيل فإن علي أن أكتب بلغتهم، أي بالعبرية).

(حتى عرب الـ ٤٨ سمعوا عن الكتاب وقرأوه لأنّه كُتب باللغة العبرية) يقول سيد قشوع ويأسف لعجز (غالبية الأوروبيين عن عدم إدراك مغزى وجود مواطنين إسرائيليين من أصل عربي لذا نبدو في أذهانهم كخونة. وهذا هو الاعتقاد السائد لدى العديد من العرب أيضاً).

وعن وضع عرب إسرائيل الذين يحملون ما يُعرف بالبطاقة الزرقاء التي تجعل منهم مواطنين إسرائيليين كاملي الواجبات إنّما غير كاملي الحقوق قال:

(لقد وُقّعت إتفاقيات في العام ١٩٤٨، وعائلتي نفسها منقسمة، جزء منها في الضفّة الغربية (أي في أراضي السلطة الفلسطينية) وجزء آخر في (الطيرة). لقد قسّمونا بخط واه أسخر منه دائماً).

وشدّد الكاتب على أنّه لم يشأ استرضاء أحد في روايته موضحاً: (أنا لم ألجأ إطلاقاً للسخرية لألقى إعجاب أحد، إسرائيلياً كان أو عربياً أو أوروبياً. أنا أنتقد المشاكل الإجتماعية في مجتمعنا).

أما عن الانقسامات التي تسود بين الفلسطينيين فيقول (من يظهر بشكل حسن في الكتاب الأوّل والثاني الذي صدر حديثاً باللغة العبرية في رأيي هم العمال البسيطون، الفلسطينيون، وللأسف الشديد هناك قسم من عرب الـ٤٨ ينظرون إلى هؤلاء العمال كما لو كانوا مختلفين عنهم).

وخلص الروائي إلى القول :(كأن الجيل الثالث منّا لا يختار الشيوعية، أو القومية العربية بل يحاول أن يكون إسرائيلياً مثل سائر الإسرائيليين، ولكن من الواضح جداً أن هذا الحلم ينكسر، كأحلام الأجيال الثلاثة).

وعن علاقته بالكتاب الإسرائيليين قال (أنا أرتبط بصداقة مع الكاتبة دوريد رابينيان وإدغار كيريد ودافيد غروسمان. دوريد رابينيان كتبت قصتها مع حسن حوراني، وهو صديقها الفلسطيني الذي غرق في البحر ونُشر كتابها في الإيطالية أيضاً. ودوريد إيرانية الاصل كتبت عن قرية صغيرة في إيران).

ساحة الماجدية

ماجد الحسن

فتكاً بالأرض،
علقتها في فضاء أخرس...
ونضدت تحت نوارسها الزعيق

وعبر وريدها...
تمر شاحنات الطحين
فرمت العجالة بالتوسل،
وافترشت رصيفها..
بطاقة التموين

بيوتها تتكئ على بعضها...
وهي آيلة للدموع
ويوم غدت كحبال غسيل،
بيدين من قصب...
تهش نباح الثياب
وعلى نهر عاطل،
راحت تجفف البكاء
.....
وتسيح من طرقاتها
❖جنود أفزعتهم الثكنات
ففتشوا في قيظها.. عن فسحة للنوم
❖نساء يثقبن الجيوب بالتودد
فعلقن الوحل على صباح يموء
❖عمال، يفرغون دقائقهم على السياج،
ويملأون الليل فحيحاً
❖صعاليك...
عاطلون عن الرسائل
أجهضتهم صرة الذاكرة
❖قساوسة،لا تخمش سحناتهم...
قساوة الرماد،
فاكتفوا برمد التمائم
❖عمالقة الفقر..
وباعة يجرون الجسر إلى عرباتهم

الرغبات... لا تؤدي اليها،
وتتقاطع بدمها الطرقات

من كراج ابله...
وهو يحدق بمقبرة الانكليز
إلى رصيف / عانس،
يتسع ليلها...
لنحول الرغيف

❖ ساحة في حي (الماجدية) وهي من الاحياء الفقيرة والمزدحمة في مدينة العمارة كانت هذه الساحة فيما مضى ممراً مهماً لمرور الشاحنات الذاهبة إلى بغداد وهي تتوسط مقبرة الانكليز وثكنة عسكرية.